حمامات مدينة المدية في العهد العثماني

– دراسة نموذجية–

ط.د./ فاطيمة الزهرة جمعي

معهد الآثار/ جامعة الجزائر2– أبو القاسم سعد الله

fatidjemai1234@gmail.com

الملخص:

تتوفر بمدينة المدية مجموعة من المعالم الأثرية التي ترجع إلى الفترة العثمانية والتي مازالت واقفة وصامدة رغم التّغيرات التي تعرضت لها خاصة في الفترة الاستعمارية، ومن بين المعالم التي لا تزال قائمة لحد الآن تلك الحمامات وقد أخذنا أحد النماذج وهو حمام سيدي سليمان كنموذج هام للدراسة والبحث نظراً لما يحتويه من خصائص معمارية أصلية مازال الغموض يسودها.

الكلمات المفتاحية: المدية، الحمام، الغرفة الباردة، الغرفة الدافئة، الغرفة الحارة، الفرناق.

Abstract:

The city of Medea has a set of archaeological monuments dating back to the Ottoman period, which are still standing despite the changes that were experienced, especially in the colonial period .

Among the features that still exist so far are those bathrooms , and we have taken one of the models, which is the bath of Sidi Suleyman as an important model for study and research, because it contains original architectural properties that still remain mysterious .

Résumé:

La ville de Médéa est l'une des villes qui comportment de nombreux monuments archéologiques datant de l'époque colonial ottoman et qui est toujours inébranlable malgré les changements qui leur ont été exposés, en particulier durant l'époque colonial, et parmis ces monuments tenants toujours debout les Hammam.

On a pris comme exemple principal le Hammam de Sidi Slimane pour etude et recherche vu sa richesse en caractéristiques architecturales originales sur lesquelles règne toujours le mystère.

مقدمة:

تعتبر الحمامات أحد المنشآت الأساسية في الحضارة الإسلامية، وقد ارتبط اسمها ووظيفتها بالطهارة بصفة خاصة، وبالنظافة بصفة عامة فلا عزو في ذلك أن تصبح الحمامات من أهم العناصر العمومية في المدينة الإسلامية، وهو ما يجعل معيار أية أمة كمقياس لرفعة حضارتها أو انخفاضها بما تمتاز به من المقومات الحضارية في مختلف منشآتها المعمارية التي منها طبعاً الحمامات، التي امتازت بخصائص ثقافية، تجد الدور الفكري للإنسان المسلم من خلال سعيه لتوطين أوامر الترابط العضوي بين الناس أي بين صناع المنشآت المعمارية.

لذلك كان المجتمع الإسلامي أحوج ما يكون إلى مثل هذه المنشآت الاجتماعية التي تقوي فيهم روح الترابط، حتى وإن الهدف الإسلامي هو النظافة ولكنه في ذات الوقت كانت هناك عوامل تؤدي إلى تكوين الفرد والجماعات لإبراز بعض العوامل الثقافية، التي تجعل الطبقة المثقفة تأتي بتكوين ثقافي التي تؤدي إلى حفظ وصيانة شخصية الإنسان الفاعل في المجتمع الزاهر بثقافة المجتمع المؤدية إلى تماسك الأفراد والجماعات على مرّ الأجيال المتعاقبة، وقد كان الأمر كذلك بل كان أيضاً مركزاً للتدريب الرياضي والاجتماعات العامة والخاصة والمحاضرات حيث كان يحتل مكانة مرموقة وكانت تتم فيه اللقاءات المهمة لرجال الطبقة الراقية، فهندسة الحمامات ليست وليدة الحاضر بل هي متجذّرة في الحضارة الإسلامية القائمة على المناعة النفسية ضد التيارات المعادية لها، والتي – لا سمح الله – قد تتعرض لها الأمة في مسيرتها.

وسنقوم في دراستنا هذه – بحول الله – بتتبع المراحل التي بنى فيها الحمام والوقوف على الدراسة المعمارية والوصفية لأهم الخصائص المعمارية، منطلقين من الإشكالية الآتية:

هل حمام سيدي سليمان يحتوي على أهم العناصر الضرورية المكونة للحمامات المعروفة في الفترة المدروسة، وهل بقي محافظ على هيكله ووظيفته حتى الوقت الحالي؟

إنّ هذا المقال محاولة لتقديم عناصر عمارة الحمامات، نأمل أن تكون صائبة مستمدين ومستعينين بما توفر لدينا من مراجع أساسية، حتى نساهم بإبراز دورها الحضاري ومكوناتها المعمارية، ثمّ ما حليت به المظاهر الفنية التي هي روح الثقافة الإسلامية المشبعة بالألوان العديدة، وبعناصر بعيدة كل البعد عن ماهية الفنون القديمة ونشير في هذا المقام إلى نقطة هامة، وهي أنّ دور المراجع لا يخفي في ترسيخ من بعض ما جاء فيه من معلومات، حتى يكتمل قدر الإمكان وإن الإستنارة بها ضروري وأساسي، وهي كلها مذكورة في هوامش المقال وذلك بغرض الإستزادة منها حتى تنمو عقلية الباحث، وتأخذ ثقة أكبر مع الحرص تحديد شخصيته ولو بنسبة معينة.

1-الإطار الجغرافي والتاريخي لمدينة المدية:

قبل أن نتحدّث عن تاريخ مدينة المدية، وما مرّ بها من أحداث كان لابدّ لنا أن نُلم بمعرفة موقعها الجغرافي ومؤهّلاتها الطبيعية نظراً لأهميتها في سير الأحداث التاريخية للمنطقة.

1-1- الإطار الجغرافي:

أ- موقع المدينة:

تبعد مدينة المدية عن الجزائر العاصمة بحوالي 88 كم، يحدها من الشمال ولاية البليدة ومن الجنوب ولاية الجلفة ومن الشرق ولاية المسيلة والبويرة ومن الغرب ولايتي عين الدفلى وتيسمسيلت تقدر مساحتها بحوالي 8700كلم^2، وهي واقعة على الطريق الوطني وهي بذلك تعتبر مثابة همزة وصل بين التل والصحراء وبين الهضاب العليا الشرقية والغربية بفضل شبكة من الطرق الوطنية والرئيسية[1].

ب- أصول التسمية للمدينة:

لقد كان هناك اختلاف في تسمية المدية، وذلك لما ترويه العديد من الأساطير والروايات، نظراً لتناوب حضارات وشعوب مختلفة عليها مما منحها ألقاب متعددة الأصل والمعنى، حيث قال البعض أنه اسم عربي أطلقته القبائل الصنهاجية على هذه المدينة حيث سموها "لمدونة" وهو اسم مشتق من مشتق من كلمة المدينة[2]، وراح بعضهم يقول بأنه اسم لأميرة رومانية كانت تحكم في المدينة اسمها "MEDEA"[3].

وأطلق على هذه المدينة أيضا اسم لامبيديا (Lambidia) في العهد الروماني وهي مشتقة من (Lambdia) القرية الرومانية التي سبقت مدينة المدية[4] .

أمّا في الفترة الإسلامية فقد عرفت هذه المدينة باسم لمدونة فحسب ما ذكره ابن خلدون فإنها تعود إلى كلمة "لمدونة" وهي اسم بطن من بطون صنهاجة حيث يقول: «... إن مدية بطن من بطون صنهاجة المسمى بأهله ونطق بعضهم (بلمدية) والنسبة إليها (لمداني) أو لمدى، وقد استولى محمد بن عبد القوي أيام عبد الواد على هذا الحصن المسمى بأهله وينطق بعضهم بلمدونة والنسبة إليها المداني...»[5]، ولفظ المداني مازال متداولاً بين الناس، فيقولون عن الشخص المنتسب إليه بأنه المداني، كما عرفت أيضا باسم "التيطري"[6].

وما تجدر الإشارة له في هذا الأخير أنّه وسط كلّ هذه التّسميات لم يتمكن من تحديد اللفظ الحقيقي الذي اشتق منه اسم المدينة أو الشخص الذي أطلق عليها هذا الاسم، وتبقى بالتّالي مجرّد تخمينات وافتراضات للروايات والتقاليد المحلية، وتباين آراء الباحثين في أصل ونسبة تسمية المدينة إلاّ أنّهم يتفقون جميعا على أنّها قديمة جدّا.

1-2- التاريخ السياسي لمدينة المدية:

كانت أشير في زمنها عاصمة إستراتيجية وقد بلغت في مرحلة الحكم الزيري تطوراً في مختلف المجالات وجذبت إليها العلماء من كل جهة وقصدها الشعراء في كل الأمصار كما شهدت الحياة الدينية والروحية فيها إشعاعاً أهلها لأن تكون قطبا يحج إليها الناس من مختلف الأمصار المغاربية[7].

وقد تفردت بنمطها المعماري الذي كانت له تأثيراته على المستوى المحلي والعالمي آنذاك، كما تفردت بما أنجبته من العلماء وفقهاء وقد عزّز ذلك تطورها على كافّة الأصعدة حتى عدت من الحواضر الهامة، ولعل الآثار المتبقية إلى اليوم، دليل على إثبات على عمق وأصالة هذه المنطقة[8].

وفي القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي امتد نفوذ الدولة الزيرية إلى مناطق شاسعة من بلاد المغرب الأوسط وكانت حدود هذه الدولة من تاهرت غرباً إلى الزاب وعاصمتها بسكرة شرقاً وكانت مدينة المدية والجزائر ومليانة ضمن المدن التابعة لدولة بنو زيري وعندما تولى الحكم زيري بن مناد في تاهرت عام 349م/ 960م من يد الفاطميين، سمح لابنه بلكين بإنشاء ثلاث مدن هي المدية ومليانة والجزائر وذلك في فترة تقارب عشر سنوات (أي ما بين 350م/360م) وهناك من يرى أن بلكين لم يقم بإنشاء هذه المدن الثلاث بل أدخل عليها إصلاحات وتعديلات ولاسيما أنها كانت موجودة فعلا قبل عهده وذلك إعتماداً على أخبار المؤرخين الذين أوردوا معلومات تخص تاريخ هذه المدن الثلاث[9].

لما استقر الحكم العثماني بالجزائر تم تقسيمها إداريا إلى أربع (04) مقاطعات رئيسية هي:

- **بايلك مدينة الجزائر وما حولها:** ويشمل الجزائر البليدة شرشال والقليعة ودلس وكانت تدعى دار السلطان.
- **بايلك الشرق:** وكان مركزه قسنطينة وحكم الباي أغلب الناحية الجبلية والصحراوية عن طريق رؤساء المجلس مع العلم أن تأسيس بايلك قسنطينة جرى عام 1565م.
- **بايلك الغرب:** وأسس عام 1565م وعرف تنوعا في المراكز الإدارية كانت عاصمته مازونة ثم معسكر وأخيراً وهران بعد تحريرها من نير الإسبان سنة 1792م[10].

- **بايلك التيطري:** والصحراء قاعدته مدينة المدية، وأسسها عام 1540م ويعتبر أصغر بايليكات وأكثرها ارتباطاً بالسّلطة المركزية، لهذا وضع بجانب الباي حاكم يتّصل مباشرة (أنظر خريطة رقم 01).

2- التطور العمراني لمدينة المدية في الفترة العثماني:

هناك تشابه كبير في تخطيط مدينة المدية وباقي المدن الإسلامية من ناحية طبيعة بنية المدينة وتوزيع منشآتها ومؤسساتها على الأراضي وعدد الخطط والدور فقد كان تخطيط المدينة بالشكل الآتي:

2-1-العمارة الدينية:

إن العمارة الدينية هي أصدق تعبير على مدى حرص المسلمين على تطبيق تعاليم الدين الإسلامي، والذي تعتبر الصلاة إحدى أهم أركانه، فما كان عليهم إلاّ أن اهتموا بها اهتماما خاصا، ويتجلى ذلك في عمارة المساجد كالمسجد الجامع الموجود في وسط المدينة، كما اهتموا ببناء الأضرحة كضريح سيدي الصحراوي.

2-2- العمارة المدنية:

أقيمت العديد من المساكن والقصور في مدينة المدية فكان لها طراز فريد، وقد كانت تتكون من فناء مربع تجتمع حوله الغرف المبنية في طابق أرضي وآخر علوي، وحول هذا الفناء تمتد شرفات تستند تقريباً على ركائز بدل أعمدة دائماً وهذا على خلاف القصر، الذي كانت به أعمدة الحجر الرملي المطلية بالجير الأبيض[11].

ولا تقتصر الوحدات المعمارية في تخطيط مدينة المدية بصفة خاصة والتخطيط للمدن الإسلامية بصفة عامة على هذه الوحدات فقط لكنها جد واسعة وسخية وتشمل العديد والكثير من المرافق كالحمامات التي تعتبر من الأبنية العامة التي أقيمت في المدن الإسلامية منذ الأيام الأولى للفتح لا لأنّه دليل حضارة وترف وغنى فحسب بل لحاجة ضرورية أوجبتها فريضة الاغتسال والطهارة في الإسلام على الرجال والنساء[12]، حيث كان له دور اجتماعي بارز.

ولقد شكّل شكل الجامع والسوق والحمام نواة رئيسية لنشأة أي مدينة إسلامية كما ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين الإسلامي فالطهارة البدنية لها مكان خاص في فقه العبادات الإسلامية، ولقد وردت عدّة نصوص شرعية تحث على الطهارة.

"لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ"[13].

لم يتخلّ الجزائري وخاصة سكان مدينة المدية عن التقاليد القديمة في بناء الحمامات خاصة وأنّ استعمالها والتّردد عليها يعتبر من بين الاهتمامات الصّحية ومن أجل أن يكون قريباً من جميع السكان كان موقعه وسط المدينة[14]، وهذا ما شهدناه في حمامات مدينة المدية الذي كان تمركزها في وسط المدينة مثل حمام سيدي سليمان الذي سنتطرق بحول الله لدراسته في هذا البحث.

2-3- العمارة العسكرية:

لحماية المدينة دعت الضرورة إلى تطويقها بأسوار من كلّ الجوانب، باعتبارها الوسيلة الأساسية لحفظ الأمن داخل المدن حيث اعتبرت من الأعمال الهامة التي يقوم بها الحاكم لحماية المدينة من الأعداء، بحيث لم تخرج مدينة المدية عن هذه القاعدة التي دأبت المدن الإسلامية على السير عليها في إحاطة سكانها بسور يحميها من أعدائها، فقد كان يحيط بالمدينة كاملة، وكان مبنياً من الحجارة على ارتفاع معتبر به خمسة أبواب، يقع اثنان منها في الشمال، بينما تتوزع الأبواب الثلاثة الباقية في الجنوب وفي الشرق والغرب[15]، ووضعت فوق هذه الأبواب فتحات رمي كان الحراس يستخدمها لتسديد نيرانهم صوب ما يهاجمهم، ويبدو أن هذا سور جُدد وأقيم على أنقاض سور قديم، فالجهة الغربية منه كانت تحتفظ ببقايا متميّزة في الجدار لسور ضخم بني بخرسانة صلبة للغاية، وتدل الثقوب الموجودة بع على خط أفقي وفي مستويات مختلفة حسبما وقف على ذلك أحد الضباط الفرنسيين، على أنّه بني بخليط من الرمل والكلس وأسمنت شديد الصلابة وممزوج بالحصى الصغيرة[16].

3- حمام سيدي سليمان:

3-1- التعريف اللغوي والاصطلاحي:

أ- لغة:

الحمام من الحم وهي الحرارة والحميمة الماء الساخن والحميم هو العرق واستحم الرجل أي عرق تجمع على الحمامات[17] ولقد وردت كلمة الحميم في القرآن الكريم.

"مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ"[18].

ومعناه الحرفي "المسخن" من حمى بالمعنى سخن بالعبرية حامم بمعنى ساخن وهو حمام البخار الساخن[19].

ب- اصطلاحاً:

الحمام في مصطلح الأثري يقصد به نوعاً من المنشآت العامة التي يقصد بها كلّ الناس للاستحمام والنظم وهي على أنواع عامة وخاصة وهو المكان المخصص للاغتسال بالماء داخل قاعات مجهزة بوسائل خاصة لخدمة المستحمّين[20].

كما ورد هذا المصطلح في موسوعة الإسلام أنّ الحمام هو مبنى منعزل يتواصل مع الشارع أو السوق بواسطة ذو زخرفة وطراز معماري خاص، ويتكوّن من مجموعة القاعات الكبرى و تلتف حولها غرف صغيرة[21].

3-2-التأصيل التاريخي لبناء الحمامات:

تعتبر الحمامات مرآة عاكسة لتطور الحضارات منذ القديم إذ مثلت في العهد الروماني مظهراً من مظاهر الترف من خلال وحداتها المختلفة التي اختصت كل منها بنشاط معين رياضياً ، ثقافياً أو سياسياً أو حتى علمياً كما استخدمت الحمامات في الفترة الإسلامية لحاجة مرتبطة بدعوة الإسلام إلى النظافة والتطهر أيضاً بقصد تحقيق الربح، حيث اعتبر من أهم الفضاءات المعمارية في المدينة الإسلامية كونه يؤدي دوراً وظيفياً في خدمة المسلم، من حيث نظافته وطهارته تمهيد الأداء واجب ديني مهم، بأخذ طابع القداسة، وقد كثرت الحمامات في المدينة الإسلامية بصفة واضحة.

3-3- موقع الحمام:

يوجد حمام سيدي سليمان في المدينة القديمة، ضمن العديد من البنايات القديمة شأنه في ذلك بشأن العديد من الحمامات الجزائرية في العهد العثماني، بطل على ممرّ ضيّق من الجهة الجنوبية والجهة الشمالية أمام مباني سكنية قديمة متصلة بع على امتداد الشارع وفي الجهة الشرقية شارع يوسف بن عيمش، ولكن في ظل قلة المعلومات والكتابات التاريخية فإنّه من الصّعب تحديد تاريخ ثابت لهذا المعلم، واعتماداً على رواية صاحب الحمام فإنّ

الحمام قد أنشأ في القرن 17م وحسب ذات صاحب المصدر فإنّ الحمام أطلق عليه تسمية سيدي سليمان نسبة إلى أحد الأولياء الصالحين بالمدينة الذي لا يبعد ضريحه إلاّ بعض الأمتار من الحمام من الجهة الشّمالية الغربية[22]، إضافة إلى كونه مازال محافظ على طرازه المعماري الأصيل، وتركيبته المعمارية التي لم تخرج عن الموصفات العامة لعمارة الحمامات في العهد العثماني (أنظر مخطط الحمام رقم 01-02)، ومازال يزاول نشاطه وهو مخصص في الفترة الصباحية للنساء والفترة المسائية للرجال.

3-4- الدراسة الوصفية:

يأخذ شكلاً غير منتظم تبلغ مساحته بـ 249.51م^2، ومن مميزات هذا الحمام أنه مضموم إلى المباني التي تجاوره من جهتين (أنظر الصورة رقم 03-04)، وبهذا فليس له إلاّ واجهتين، الأولى تطل على نهج صغير توزعت بها ثلاث نوافذ مرتفعة على مستوى الأرض، كما اشتملت على مدخل ثانوي وهو مخصص لغرفة الفرناق (الموقد).

الواجهة الثانية فهي تعتبر الواجهة الرئيسية لهذا الحمام وبها مدخل الذي عن طريقه يتم الولوج إلى داخل الحمام، وقد بلغت مقاساته (عرضه 1.20م وارتفاعه 2.20م) يعلوه نصف دائري، الكلّ محاط بإطار بين الزخارف وبالبلاطات الخزفية (أنظر الصورة رقم 05).

3-5-الدراسة المعمارية:

ينفتح المدخل الرئيسي مباشرة على قاعة صغيرة هي عبارة عن غرفة انتظار مستطيلة الشكل تسبق القاعة الرئيسية الأولى للحمام (القاعة الباردة) تعرف هذه الغرفة بالسقيفة حيث شاع استخدامها وكثر في جميع العمائر الجزائرية في العهد العثماني[23].

وقد شكلت تلك الغرف ما يعرف بالمدخل المنكسر، والذي تميزت به العمارة الإسلامية منذ القدم، ووجود هذا العنصر المعماري في الحمام يحرص على الستر وعدم كشف ما بالدّاخل، حيث حرص المعماري على هذا الجانب، في تصميمه للمباني الإسلامية كالبيوت والحمامات وهذا ما نلاحظه في هذا الحمام.

قدّرت مساحة سقيفة الحمام بـ 17.87م^2 وقد احتوت على مصطبتين إحداهما تقع على اليسار والأخرى على اليمين ارتفاعهما قدر بـ ½ م، ويمكن اعتبار هذه الغرفة غرفة صغيرة للانتظار والجلوس قبل الدخول أو الخروج من الحمام، سقفت هذه الغرفة بسقف مستو وهي

خالية من النّوافذ (أنظر الصورة رقم 06)، يوجد بها مدخل صغير في الجدار الشرقي من هذه القاعة بحيث يؤدي بنا إلى القاعة الأولى من الحمام ارتفاعه 2م ، وعرضه 0.9م.

تسمى هذه القاعة بالقاعة الباردة، وتسمى في المشرق المسلح وفي مصر مراكش المسلح[24].

وقد احتوت هذه القاعة على كافة المتطلبات والملاحق التي من المعتاد رؤيتها في الحمامات الإسلامية من أروقة كبيرة هي مشالح أو منازع استعملت لتبديل الثياب والاستراحة قبل وبعد الاغتسال، هذا ما نجده في حمام سيدي سليمان بالقاعة الباردة حيث قدرت مساحتها بـ 80.95م^2، يوجد بها بالجهة اليمنى من هذه القاعة مجلس المحاسب وهو صاحب الحمام أو مستأجره المكلف بجمع المبالغ المخصصة للاستحمام ويسمّى بالمشرق الحمامي أو القيم، وهو الذي يقوم بتشغيل الحمام ويواظب القيم عادة الجلوس على هذه المصطبة حتى يستطيع ملاحظة المستحمين أثناء دخولهم وخروجهم، كما يستلزم أمانات الزبائن ويحفظها في صندوقه، وقد كسي هذا البناء الحجري بمربعات خزفية يقدر ارتفاعه بـ 0.5م، وتوجد هناك خزنات مخصصة لبيع اللوازم الخاصة بالحمام (مستحدثة) (أنظر الصورة رقم 7-8).

وقد كسيت جدران هذه القاعة بمربعات خزفية مختلفة الألوان، وسقفت بالأقبية نصف برميلية ويرتفع مستوى أرضية عن أرضية القاعة إذ يتم الصعود إليها عبر درجتين وفي الجهة المقابلة للمدخل نجد أربعة عشر (14) درجة يتمّ عبرها الصعود إلى الطابق العلوي لهذا الحمام.

وفي نفس الجهة نجد مدخلاً صغير يؤدي بنا إلى القاعة الثانية من هذا الحمام وهي الغرفة الدافئة والتي يطلق عليها في دمشق بالوسطاني وفي فاس القاعة الوسطى[25]، وهي قاعة ضيقة وصغيرة جداً وكان لصغر مساحة هذه الغرفة إذ جعل المهندس المعماري يتغاضى عنها ويقلّل من شأنها ويوسع القاعتين الباردة والحارة على حسابها وفي هذه الحالة فإنه لم يرد منها إلا أن تكون فضاء صغيراً يسمح للمستحم بالانتقال بشكل لطيف من درجة حرارة أدنى إلى أخرى أعلى وهذا حتى لا تتضرر صحّته وجسمه للانقلاب المفاجئ لدرجة الحرارة[26] (أنظر الصورة رقم 9).

فقد ضمت بعض الملاحق التي لا غنى للحمام عنها كالمراحيض وخزانات المياه، قدرت مساحة هذه الغرفة بـ 16.10م^2 وتحتوي على مرحاض عرضه 1م ومكان للوضوء.

وفي الجهة الشرقية للقاعة نجد مخلا بقياس (01.5 × 0.83م) يؤدّي بدوره إلى القاعة الساخنة أو القاعة الحارة أو العراقة حيث ينصب العرق من المستحم لدرجة الحرارة المرتفعة بها، وجودها يعبق بالبخار والعطور المتصاعدة من الصابون المطيب وتسمّى بدمشق بالجواني بالقاهرة بالحرارة وفي فاس بالداخلي، أمّا تونس فقد سميت بالزقاق، وهي تشكّل الفضاء الذي يرتاده المستحمون بكثرة، وهي المكان الحقيقي للاستحمام تحتوي على مخادع أو مقصورات و تكون مجهزة بمقاعد حجرية أو مصاطب، ومغاطس من حجر أو رخام تعدل فيها حرارة المياه التي تصل إليها من الحنفيات مركزة يجري الماء البارد من بعضها إلى البعض ليتناول المستحمون الماء المعدلة حرارته من الجرب بواسطة جنطاس نحاسي، تتوسط هذه القاعة سرة وهي مكعب حجري كبير كان يستلقي عليه المستحون للتعرق (انظر الصورة رقم 10 -11) قبل المرور لمرحلة الدلك ولقد كسي سطحها بقطعة من الرخام أما جوانبها الأربعة فقد كسيت بقطع من الزّليج، قدرت مساحة هذه القاعة بـ 53.25م^2 وقد سقف وسط هذه القاعة بقبة مضلعة الشكل تخللتها أربعة فتحات كانت المصدر الرئيسي لإدخال ضوء النهار إلى القاعة (أنظر الصورة رقم 12).

أمّا الفرناق فكان له مدخل مستقل خاص عن المبنى الأساسي وهذا حتى يسهل دخول الوقود ومساعديه من جهة ومن جهة أخرى يعدّ منفذ لإدخال الوقود (من خشب وفحم وغيرها)، وإبعاد هذه المواد عن الأجنحة الرئيسية للحمام حفاظاً على نظافتها وطهارتها.

الخاتمة:

لقد كانت هذه الحمامات في العصر الروماني منتدى لنخبة المجتمع الأغنياء والرياضيين وذوي السلطات يجتمعون فيها للتسلية واللّهو والتّرفيه، فقد كان بمثابة نادي ثقافي، أمّا في العصر الإسلامي فقد كان لكافة الناس يدخلون إليه للنظافة والتطهر كحاجة ضرورية أوجبها الدين الإسلامي الجديد، ومن خلال دراستنا لهذا النموذج من الحمامات العثمانية، نلاحظ أنّه لم يخرج عن هذا التقليد كما أخذ هذا الحمام حظه من البناء كما احتل موقعاً استراتيجياً مميزاً في النسيج العمراني للمدينة بقربه من الجامع والسوق.

وبناءً على هذا ارتأينا تقديم جملة من الاقتراحات والتّوصيات:

- القيام بتسجيل حمام سيدي سليمان في قائمة الجرد الإضافي.
- تصنيف هذا الحمام كمعلم أثري وذلك نظراً للخصوصية التاريخية وطابعه المعماري المميز.
- حماية حمام سيدي سليمان والسّعي إلى ترميم مختلف عناصره المعمارية نظراً للتّلف الكبير الذي حلّ به نتيجة التّغيرات التي أحدثها ملكه الحالي.

وعلى ضوء ما سبق فإنّ هذا المعلم يعتبر جزءاً مهماً من التراث والذي يعتبر بدوره جزء من ذاكرة بلادنا الذي سيظل بدوره في إثراء موروثنا الحضاري ينتظر نفض الغبار عنه، وعلى هذا نرجوا من السّلطات الوصية أن تأخذ بعين الاعتبار على عاتقها هذا المعلم الذي يجب أن يعاد له هويته وشخصيته التي تمثل الهوية الوطنية لكلّ شخص معتز بجزائريته.

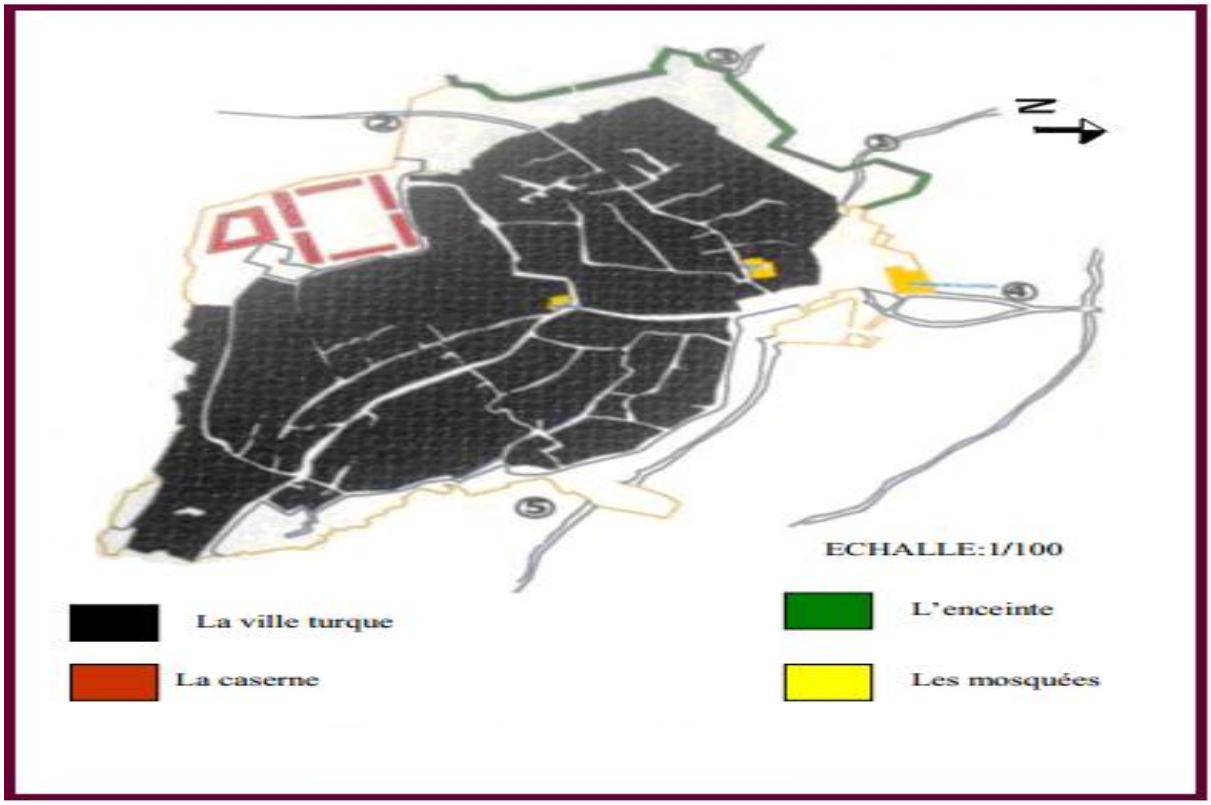

خريطة رقم 01: المدية قبل 1830 عن فاتن ادريس

سورة رقم 01: باب الأقواس

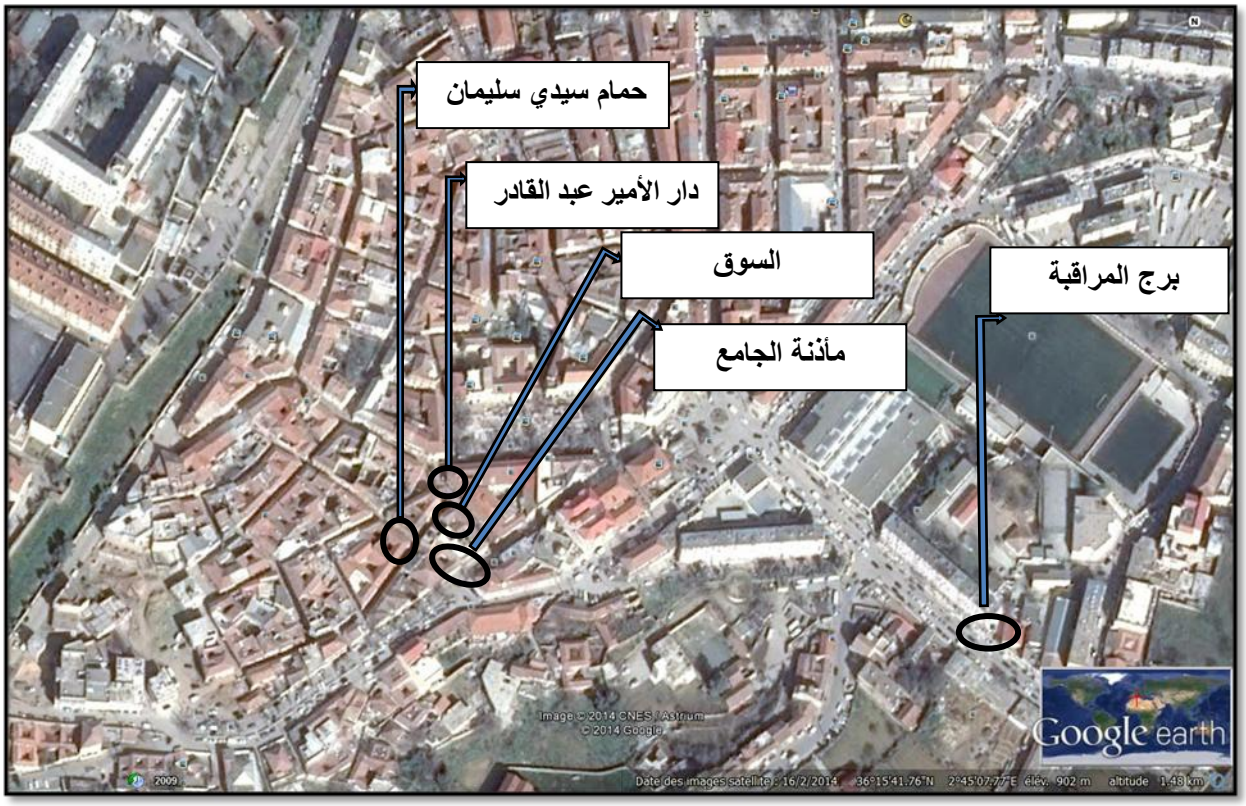

صورة رقم 01: باب الأقواس

صورة رقم 02: توزع بعض المعالم الأثرية لمدينة المدية

صورة رقم 03- 04: الواجهة الجنوبية والغربية للحمام

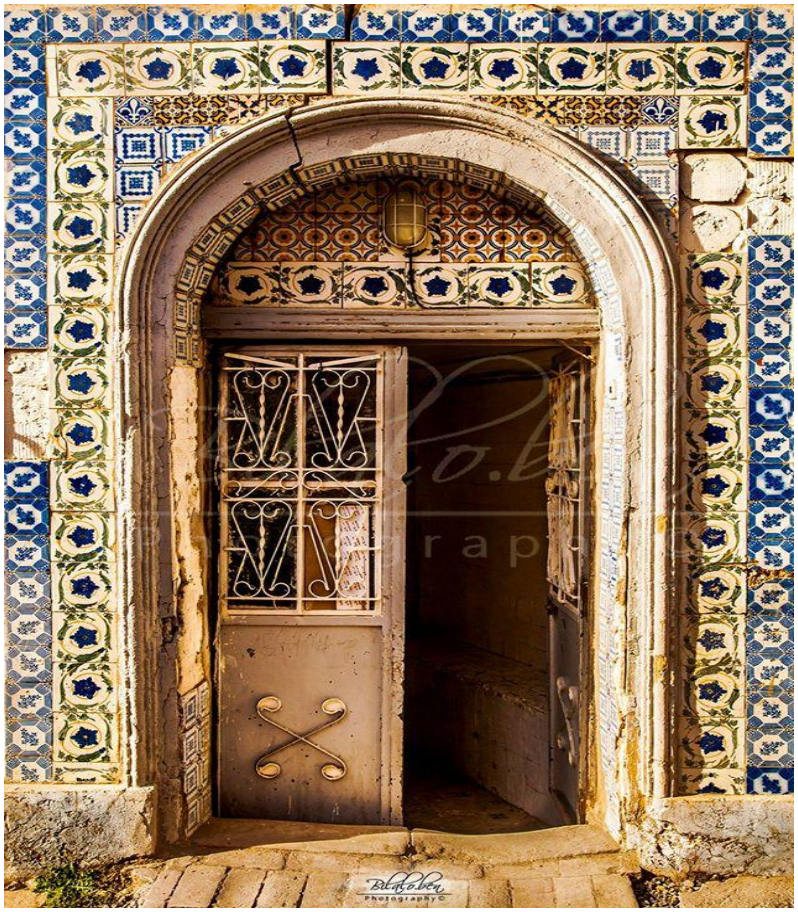

صورة رقم 05: المدخل الرئيسي للحمام

صورة رقم 06: سقيفة الحمام

صورة رقم 07: القاعة الباردة

صورة رقم 08: صورة بتقنية ثلاثية الأبعاد للقاعة الباردة

صورة رقم 09: القاعة الدافئة

صورة رقم 10: القاعة الساخنة

صورة رقم 11: القاعة الساخنة بتقنية ثلاثية الأبعاد

صورة رقم 12: قبة الحمام

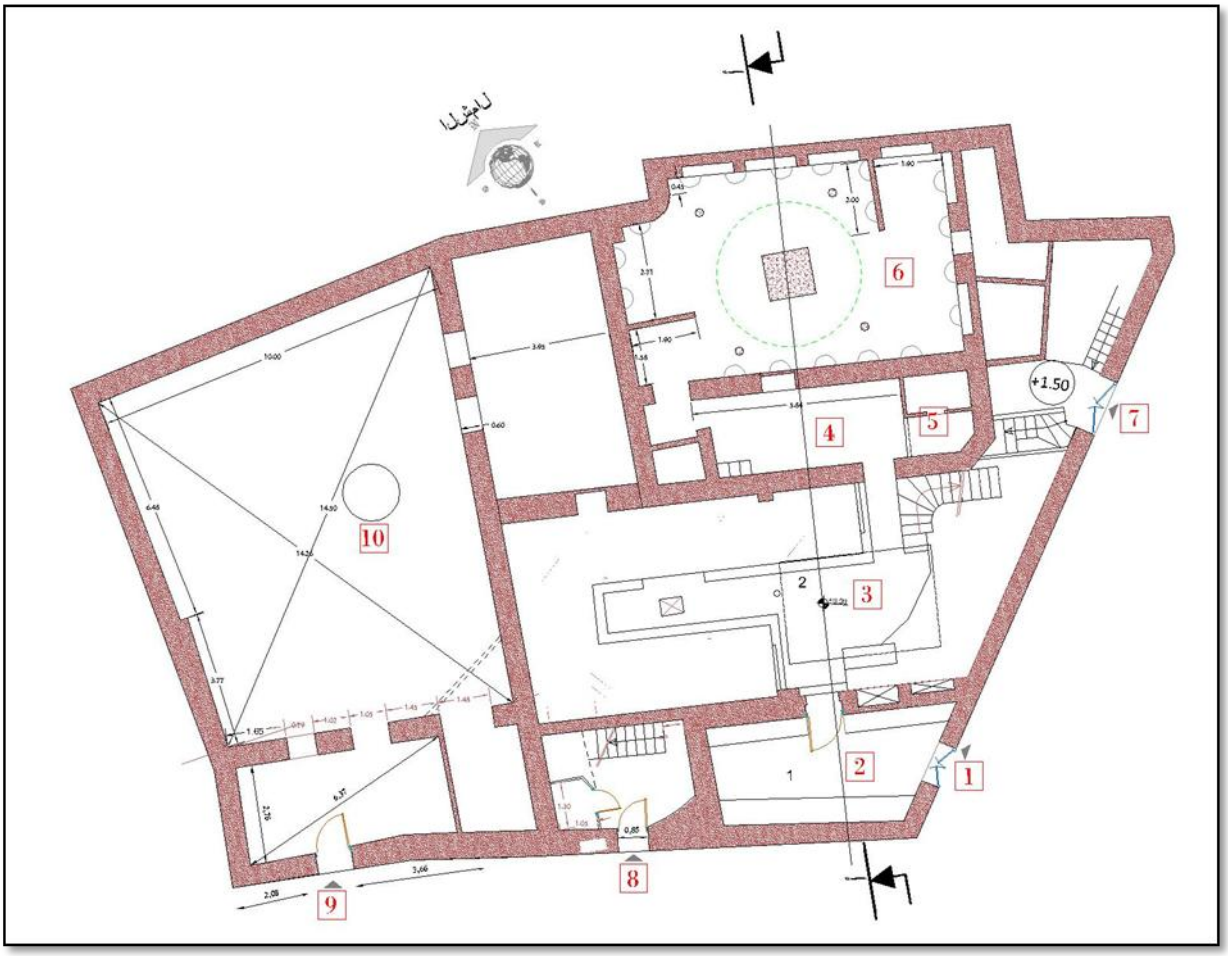

1	مدخل الحمام	6	الغرفة الساخنة
2	السقيفة	7	مدخل المصلحة التقنية
3	الغرفة الباردة	8	مدخل الفرناق
4	الغرفة الفاصلة	9	مدخل المساحة الإضافية
5	المرحاض	10	البئر

المخطط رقم 01: مخطط الحمام

المخطط رقم 02: المخطط الداخلي للحمام بتقنية ثلاثية الأبعاد

الهوامش:

1- Gyver: «Lamdia» Encyolopédie de L'islam, E.J. Brill, leiden, Paris G.P. maisonneuve, 1986 T-V, p. 1006.

2- خليل الشرفي عبد العزيز، سير أعلام المدية، تقديم محمد الهادي الحسني، الجزائر، دار فليتس للنشر، 2013، ص. 15.

3- اسكندر محمد مختار، المدية بين القديم والحديث، الجزائر، منشورات وزارة الثقافة، 2007، ص. 17.

4- بلحميسي مولاي، مدينة المدية عبر العصور في تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، مليانة، المدية، إعداد وتقديم عبد الرحمان جيلالي، الطبعة الأولى، الجزائر، 2007، ص. 312.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م، ج. 1، ص. 192.

6- المدية- ولاية المدية، إلهام الماضي وإشراق الحاضر، (د. ت.)، ص. 14.

7- بن زرقة سعيد وسكين بوبكر، المدية أسماء وأماكن، دار الساحل للنشر والتوزيع، 2015م، ص. 185.

8- حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة مدن المغرب الأوسط، دار الحكمة، الجزء الأول، الجزائر، 2007م، ص. 105.

9- سليماني أحمد، تاريخ المدن الجزائرية عبر العصور، دار القصبة للنشر، معهد التاريخ، الجزائر، ص. 156.

10- عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر الجديدة، مصر، ص. 31.

11- ROZET (M), Voyage dans la régence d'Alger ou Description du pays par l'armée Française en Afrique, Paris, Arthus; 1933, pp. 224-225.

12- أحمد قاجة جهلة، موسوعة فن العمارة الإسلامية، مطابع السفير التجارية، لبنان، الطبعة الأولى، 2000، ص. ص. 164-165.

13- سورة التوبة، آية 108.

14- عبد الحافظ عبد الله عطية ، المرجع السابق ، ص. 215.

15- ودان بوغفالة، الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات وزارة الدينية والأوقاف، الجزء الأول، الجزائر، 2015، ص. 193.

16- نفسه، ص. 193-194.

17- سامي محمد نوار، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية، بطون المعاجم اللغوية، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر، 2000، ص. 51.

18- سورة محمد، الآية 15.

19- البستاني فؤاد إفرام البستاني، "الحمم" في دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثامن، بيروت، 1884، ص. 68.

20- ميسون علي إيداح، المدينة الإسلامية نشأتها وأثارها في التطور الحضاري، دار اليازوني، عمان، الأردن، ط. 1، 2012، ص. 128.

21- Orientalises encyclopédie de l'Islam avec le concourt de plusieurs (wensink- leviprovencal, et outnes) paris, imprime August picard, 1929, p. 268.

22- مقابلة شفهية مع صاحب الحمام يوم 10 ماي 2017.

23- عقاب محمد الطيب، المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي لمدينة الجزائر، دراسة في كتاب دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1982، ص. 86.

24- رزق عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 2000، ص. 86.

25- قاجة أحمد جهلة، المرجع السابق، ص. 166.

26- حسين زكي محمد، فنون الإسلام، دار الراشد العربي، بيروت، 1981، ص. 20.

البيبليوغرافيا:

1- باللّغة العربية:

- ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م، ج. 1.
- أحمد قاجة جهلة، موسوعة فن العمارة الإسلامية، مطابع السفير التجارية، لبنان، الطبعة الأولى، 2000.
- اسكندر محمد مختار، المدية بين القديم والحديث، الجزائر، منشورات وزارة الثقافة، 2007.
- البستاني فؤاد إفرام البستاني، "الحمم" في دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثامن، بيروت، 1884.
- المدية- ولاية المدية، إلهام الماضي وإشراق الحاضر، (د. ت.).
- بلحميسي مولاي، مدينة المدية عبر العصور في تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، مليانة، المدية، إعداد وتقديم عبد الرحمان جيلالي، الطبعة الأولى، الجزائر، 2007.
- بن زرقة سعيد وسكين بوبكر، المدية أسماء وأماكن، دار الساحل للنشر والتوزيع، 2015م.
- حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة مدن المغرب الأوسط، دار الحكمة، الجزء الأول، الجزائر، 2007م.
- حسين زكي محمد، فنون الإسلام، دار الراشد العربي، بيروت، 1981.
- خليل الشرفي عبد العزيز، سير أعلام المدية، تقديم محمد الهادي الحسني، الجزائر، دار فليتس للنشر، 2013.
- رزق عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 2000.
- سامي محمد نوار، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية، بطون المعاجم اللغوية، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر، 2000.
- سليماني أحمد، تاريخ المدن الجزائرية عبر العصور، دار القصبة للنشر، معهد التاريخ، الجزائر.
- عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر الجديدة، مصر.
- عقاب محمد الطيب، المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي لمدينة الجزائر، دراسة في كتاب دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1982.
- ميسون علي إيداح، المدينة الإسلامية نشأتها وأثارها في التطور الحضاري، دار اليازوني، عمان، الأردن، ط. 1، 2012.

– ودان بوغفالة، الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات وزارة الدينية والأوقاف، الجزء الأول، الجزائر، 2015.

2– باللّغة الأجنبية:

- Gyver: «Lamdia» Encyolopédie de L'islam, E.J. Brill, leiden, Paris G.P. maisonneuve, 1986 T-V.
- Orientalises encyclopédie de l'Islam avec le concourt de plusieurs (wensink- leviprovencal, et outnes) paris, imprime August picard, 1929.
- ROZET (M), Voyage dans la régence d'Alger ou Description du pays par l'armée Française en Afrique, Paris, Arthus; 1933.